

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (٤٨)

تفريغ محاضرة بعنوان:

«فضائل العشر من ذي الحجة،

وفضل الدعوة إلى الله»

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -

[ألقاها فضيلته في مسجد الشيخ عيسى الحازمي بقرية الحسينية

بمحافظة صبيا بجازان، بتاريخ ٤-١٢-١٤٣٧هـ]

اعتناء

أبي قصي المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بسم الله الرحمن الرحيم

«فضائل العشر من ذي الحجة، وفضل الدعوة إلى الله»

لفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله - (١)

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا

محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنه لمن دواعي السرور والغبطة هذا اللقاء الذي يسّره الله -جلّ وعلا-، وأنا أحمد الله على ذلك؛ إذ فيه التقاء بأهل هذه البلدة الذين تربطنا بهم صلة الأخوة القديمة، والتي لا تزال مستديمة بفضل الله -جلّ وعلا-؛ لأنها قامت على المحبة فيه، فالآباء كانت بينهم الصلة، واستمرت، وانتقلت بينهم إلى الأبناء، ونسأل الله -جلّ وعلا- أن يديمها علينا جميعاً، إنه جواد كريم.

أهل هذه البلدة لستُ غريباً عليهم، وليسوا غرباء عني -كما قلت-، فهم ما بين أخ وابن، أحبهم، ويحبوننا، ونعرفهم، ويعرفوننا، ونسأل الله -جلّ وعلا- أن يديم ذلك.

وكنْتُ قد حصل بيني وبين أخي صاحب الفضيلة الشيخ أحمد بن عيسى الحازمي، رحم الله الوالد العم عيسى، حصل بيني وبينه اتصال، فأصرَّ إلا أن نزور هذه البلدة الحبيبة على قلوبنا هي وأهلها، وأن نلقي كلمة فيها، فلا نملك إلا أن نستجيب لدعائه وطلبه، فإنَّ طلبه أمراً -جزاه الله خيراً-، وها نحن قد حضرنا، وإنما نحن وإياكم نتذاكر، فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين.

(١) ألقاها فضيلته في مسجد الشيخ عيسى الحازمي بقرية الحسينية بمحافظة صبيا بجازان، بتاريخ ٤-١٢-١٤٣٧هـ.

أيها الأحبة في الله:

نحن في هذه الأيام في أيام فاضلة، هي أيام عشر ذي الحجة، هذه الأيام التي قال فيها النبي ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ»^(١) يعني عشر ذي الحجة.

فهذه الأيام من اليوم الأول إلى اليوم العاشر من ذي الحجة هي أفضل أيام السنة على الإطلاق، كما أنَّ العشر-الأواخر من رمضان هي أفضل ليالي السنة على الإطلاق، ففي الليالي العشر-الأواخر من رمضان أفضل ليالي العام مطلقاً، لا أفضل منها؛ لأنَّ فيها ليلة القدر التي هي «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»، كما قال النبي ﷺ^(٢).

وهذه الأيام أيام عشر ذي الحجة من هلال ذي الحجة إلى يوم النحر هي أفضل أيام السنة من حيث الأيام النهار على الإطلاق، لا أيام في السنة أفضل منها، والعمل في هذه الأيام في نهار هذه العشر-أفضل العمل، وأحب العمل إلى الله، بل ولا يعدل حتى القتال في سبيل الله -جَلَّ وعلا- إلا في حالة واحدة؛ رجل خرج بنفسه وبماله ولم يرجع من ذلك بشيء، يعني قتل هذا نعم، أما من عدا هذا العامل لهذا العمل فمن سواه وما سوى عمله في عشر-أيام ذي الحجة أفضل منه على الإطلاق.

وكانت أيام عشر ذي الحجة أفضل الأيام؛ لأنَّ فيها يوم عرفة، لأنَّه أفضل يوم طلعت عليه الشمس، أفضل الأيام هذه الأيام العشر، لماذا؟ لأنَّ فيها يوم عرفة، فهو أفضل يوم طلعت عليه الشمس، وما من يوم أفضل منه، كما أنَّ ليلة القدر لا أفضل منها في ليالي السنة كلها، وهي في العشر-في الليالي، ففُضِّلَت العشر-الأواخر من رمضان لوجود ليلة القدر فيها،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٩٦٩).

(٢) أخرجه النسائي في «سننه» برقم (٢١٠٦)، وابن ماجه في «سننه» برقم (١٦٤٤)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (١٩٦٢).

وفُضِّلَت عشر الأيام من ذي الحجة لوجود يوم عرفة فيها، فهذا اليوم قريب من ليلة القدر، فليلة القدر يُعتق الله فيها من يشاء من عباده، ويوم عرفة ما من يوم يكثر فيه العتق من الله لعبيده من النار فيه من هذا اليوم؛ لأنه ما رُوي الشيطان أحقر ولا أغيظ ولا أصغر منه في يوم عرفة؛ لما يرى من كثرة تفضل الله على عباده، وإجابته لدعائهم، وعتقه لهم من النار إلا ما كان من يوم بدر، فإنَّ الله أذَّله فيه، وأهانَه بكسر عسكره وجنده من مشركي وأظهر في هذا اليوم النبي ﷺ وأصحابه على قلة عددهم وكثرة عدد عدوهم.

إِذَا: فهذه الأيام -معشر الأحبة- أيام فاضلة، والعمل فيها الناس يتهاونون به، لا يجتهدون فيه كما يجتهدون في العمل في ليالي العشر، لماذا؟ لأنَّ العشر جاءت في شهر كامل الناس يُعظَّمونه، أما هذه الأيام فجاءت في وقت قصير، ثم إنها في وقت اشتغال الناس في الأعمال والأرواح، والمراد بالأرواح المصالح التي يروحون إليها، ويغدون إليها، فيشتغلون عن الأعمال الصالحة في هذه العشر، وهذا من الخسران، فإنَّ النبي ﷺ قد بيَّن فضل هذه الأيام. فالواجب علينا -معشر الأحبة-: أن نشتغل بالطاعات فيها لكونها محبوبة إلى الله -جلَّ وعلا-، فقد جاء في لفظ هذا الحديث: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ» فإذا كانت هذه الأيام الأعمال الصالحة محبوبة إلى الله؛ فالواجب على العبد أن يبادر، لأنَّ العمل إذا كان محبوباً في زمن معين يكون له وزن، ويكون له شأن، والحمد لله أبواب الخير مفتوحة، فذكر الله -جلَّ وعلا- هذا من أحب الأعمال، وأفضلها، وذلك كما جاء في الحديث: «بِالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ»، تكبير الله -جلَّ وعلا-، وتحميده، وتهليله من الأعمال الخفيفة على اللسان الثقيلة في الميزان.

وقد جاء في «صحيح البخاري» آخر حديث في «صحيح البخاري»^(١): «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ»، كلمتان ثنتين خفيفة على اللسان ما يتعب الإنسان منها، وحبّية إلى الرحمن -جلّ وعلا-، ومع هذه القلة هي كلمتان إلا أنّهما ثقيلتان في الميزان، ما هما؟ «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»، أحد يعجز يا إخواني في هذا؟ يُعجز الإنسان شيء من هذا؟ ما يعجزه، لكن أنتم تفكروا في الموفق لها، الموفق من وفقه الله، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم جميعاً، وإلا لا مشقة فيها ذكر لله، قال -جلّ وعلا-: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ويقول -جلّ وعلا-: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢)

[البقرة: ١٥٢].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي أنه قال: «إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي-» يعني ابن آدم «وإنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(٢) وهم ملائكة في السماوات عند ربهم -جلّ وعلا-، فانظر إلى هذا الفضل العظيم، وهو على عمل يسير، لكن هذا اليسير يسيرٌ على من يسره الله عليه.

والواجب علينا جميعاً -معشر الأحبة- ألا نغفل عن ذكر الله -تبارك وتعالى- فهو الحصن الحصين، والحرز المكين، فالعبد لا يفتأ لسانه من أن يكون رطباً بذكر الله -جلّ وعلا-، والله -جلّ وعلا- يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] كيف؟ تفسيره في الحديث: «إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي-، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»، إذا كان ذكره الله

(١) برقم (٧٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٤٠٥).

- جَلَّ وعلا- بين الناس يذكره الله عند الملائكة، وإذا كان ذكره لربه - جَلَّ وعلا- في نفسه
ذكره الله - جَلَّ وعلا- في نفسه ﷻ.

فالواجب على العبد: ألا يظن أن الأعمال الصالحة فقط بالصدقة فتشوق عليه، أبواب الخير
كثيرة، والذكر هو هذا الذي سمعته، والنبي ﷺ قد أرشد إلى إحياء هذه الأيام العشر بالتحميد،
وبالتهليل، وبالتكبير، أحب الكلام إلى الله - جَلَّ وعلا- أربعة، لا يضر بك بأيها بدأت، سبحان
الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب الكلام إلى الله أربع، ولا يضر بك بأيها بدأت،
يعني ما يلزم الترتيب، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كم هذه الكلمة تأخذ
منك؟ ما تصل نصف دقيقة، ولك الأجر العظيم عند الله - جَلَّ وعلا- بها، فأنتم تستكثرون
من الذكر كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فأفضل ما يُعمل في هذه العشر ذكر الله - جَلَّ وعلا-،
وذكر الله ﷻ له شأن عظيم، فهو حرزٌ من الشيطان مكين، مثلك ومثل الذكر كمثّل رجل كما
قال النبي ﷺ يطلبه العدو حتى إذا كاد يدركه دخل الحصن، فالحصن الحصين هو الذكر لابن
آدم من الشيطان ما دام ذاكرًا لله - جَلَّ وعلا- بلسانه مستحضرًا لذلك بجنانة لعظمة الخالق،
فإن قلبه حي، فهو قريب من الرحمن، بعيد من الشيطان، لا يتسلط عليه، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾
[البقرة: ١٥٢]، ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]،
الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، إنه ليس له سلطان على الذاكرين أبدًا
كما أخبرنا - جَلَّ وعلا-، ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾
[النحل: ١٠٠] هؤلاء يتولاهم الشيطان، أما الذين آمنوا وذكروا ربهم ﷻ فلا طريق له عليهم، ﴿إِنَّ
عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، فهذا العبد ما دام في
ذكره لله فهو في حرز من الله من عدوه إبليس.

ولهذا شُرِعَ الذكر المطلق هذه الأيام العشر، تذكّر الله -جلّ وعلا- في كل أحيانك، تُلبّيهِ، تكبره ﷻ، تحمده، تهلله، تكبره -جلّ وعلا- الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، وإن قلتها ثلاثاً كما ذهب إلى ذلك الشافعي **رحمته تعالى** فلا بأس عملاً بحديثي ابن عمر وحديث ابن عباس -رضي الله تعالى عنهم جميعاً-، فأنت إن قلت: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، هذا شيء، وإن قلت: الله أكبر الله أكبر الله أكبر -ثلاثاً-، لا إله إلا الله، ومثلها الله أكبر الله أكبر الله أكبر والله الحمد -ثلاثاً- فهذا جاء في حديث ابن عباس فلا بأس بذلك كل ذلك حسن والأمر فيه سعة.

والمقصود: الذكر المطلق في سيارتك، في بيتك، في دكانك، في مزرعتك، في طريقك، فإنّ الذكر في هذه الأيام الذكر المطلق أحب الأعمال إلى الله -جلّ وعلا-.

وهكذا من الأعمال الصالحة: الصيام، فإنّ الأعمال الصالحة الصيام في هذه الأيام العشر، فإنّ العبد إذا كان مستطيعاً قوياً سالماً من الأمراض والعوارض فإنه يستحب له؛ لأنّ العمل هذا عمل فاضل، وهو بعيد عن الرياء، وقريب إلى الإخلاص، «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي»^(١)، من يراقب الإنسان؟ ما يراقب إلا الله، باستطاعته أن يقول للناس إذا خرج: أنا صائم، وهو كاذب، لكن الله مطلع عليه، فتجد قوة الإيمان عند أهل الإسلام والإيمان -والله الحمد- تحجزهم عن أن يفعلوا شيئاً من هذا، فتجدهم أطوع الخلق لله -جلّ وعلا- في السر قبل العلانية، فتجده في بيته لو جيء له بأفضل صنوف الطعام وقد نوى الصيام ما يفطر، يتم صومه، ولو تعرّض لكثير من المشقة ونحو ذلك، تجد كبار السن ما يضيع يومه، يقول: ما أضيع يومي، يتم ويتصبر ويصبره الله.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٩٠٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١١٥١).

فالحاصل: هذا الصيام سرٌّ بين العبد وربّه، ولذلك كان من أَرَجى الأعمال وأفضلها عند الله -جلّ وعلا-، ولا يدخله أخذ الغرماء إذا جئت يوم القيامة وأخذ الناس منك ما أخذوا ما يدخل الصيام في هذا؛ لأنّ المفلس يوم القيامة -عافانا الله وإياكم- من يأتي بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد ضرب هذا، وشتّم هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فُتيت حسناته قبل أن يُؤدّى ما عليه أُخذ من سيئاتهم، فَطُرِحَتْ عليه ثم أُلقِيَ في النار، فإذا جاء وقت المصارفة يؤخذ من الحسنات للغرماء ما يدخل الصيام في هذا؛ لأنّ الله اختص نفسه به، قال: «إِلَّا الصَّيَّامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، فلا يدخل في باب المصارفة، فلا يؤخذ منه شيء، لأنه اختص الله به لنفسه -جلّ وعلا-، فالحرص على الصيام في هذه الأيام فاضل، عمل فاضل.

وأما مما يجدر التنبيه إليه في هذا: بعض الناس يرى أنّ النبي ﷺ كان يصوم هذه العشر، والحق أنّ الحديث في هذا لا يصح، لكن تصح الأحاديث الأخرى في صوم التطوع، ويدخل الصيام في الأعمال الفاضلة التي تدخل في الأيام العشر، فتبقى من هذا الباب، الصيام من الأعمال الصالحة التي تشرع، لكن هل صح أنّ النبي ﷺ صام هذه العشر؟ هذا باب آخر، لكن الصيام من العمل الصالح، ومن أَرَجى الأعمال الصالحة -كما سمعتم- ينبغي الحرص عليه لهذه الميزة، ولهذه الفضيلة، ولهذه الخصيصة، وهي أنه لا تدخله المُقاصّة يوم القيامة إن أُخذ من لغرمائك لا يؤخذ من صيامك، فينبغي أن يحرص عليه، وهو من أفضل الأعمال، وأقربها إلى الإخلاص، وأبعدها عن الرياء.

وقد كان عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- يصوم هذه العشر، وهكذا ابن سيرين، وهكذا غيره من السلف -رحمهم الله تعالى-، فالصيام مشروع في هذه الأيام؛ لأنه من أفضل الأعمال الصالحة.

وهكذا العتق، والصدقة، الإكثار منها؛ لأنَّ الصدقة من الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة في هذه الأيام محبوبة إلى الله -جلَّ وعلا-، فينبغي أن يُكثر من الصدقة، ويُكثر من الذكر، ويُكثر من الصيام لله -جلَّ وعلا-، وأن ينتهز الإنسان هذه الأيام المعدودة، هذه الأيام المعدودة: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

فهذه هي الأيام المعلومات، والأيام المعدودات هذه هي أيام التشريق، تلك معدودات ثلاثة أيام بعد يوم العيد؛ يوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، وأما هذه معلومات، فهي التي قال الله فيها: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، فالليالي العشر هي ليالي عشر أيام ذي الحجة.

فالإنسان ينتهز الفرص؛ لأنَّ العاقل دائماً يجب أن يصل إلى مراده من أيسر الطرق، وأخصر الطرق، أيسرها ما في مشقة، وأقربها ما في طول، فيتعب، الطول أو في المشقة فقد تكون الطريق قريبة لكنها شاقة حجارة، وعرة، جبال، فتختار الطريق البعيدة لسهولة، فهذا الطريق فيه يسر، وفيه اختصار.

فهذه الأيام الفاضلة والعشر الأواخر من رمضان الفاضلة المسلم ينتهزها؛ لأنها مختصرة، قصيرة، وفي الوقت نفسه العمل القليل فيها يعدل العمل الكثير في غيرها، ليلة القدر العمل فيها خير من ألف شهر، وهي ليلة واحدة، يعسر على الإنسان أن يتحرَّرها عشر ليال! والله ما هو عسير، عشر ليال ليحصل على ليلة عملها أفضل من ألف شهر، هذا ما هو شاق ولا هو عسير، والله ما يعسر إلا على من لم يُرد الله له توفيقاً -أعاذنا الله وإياكم من ذلك-.

وهكذا هذه الأيام إذا ما كان لديك مال تصدق به، فعندك جسم تصوم، تصلي، تذكر الله -جلَّ وعلا-.

وليعلم الإنسان قبل هذا كله: أن أحب ما تقرب به إلى الله أدائه لما افترض الله -جلّ وعلا- عليه كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه -جلّ وعلا- أنه قال: «ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه»^(١).

فالصلوات الخمس هذه يجب أن تتقرب إلى الله بالمحافظة عليها، الصوم الواجب كذلك، الكف عن المحرمات كذلك، أداء الواجبات عمومًا كذلك، ثم تأتي بعد ذلك بالمستحبات، والمستحبات التقرب بها والمبادرة إليها سبب في محبة الله لك -أيها العبد-، «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»، الفرائض لا كلام فيها، لكن النوافل هي التي تدل على شدة المحبة وتعلق القلب بالخالق المحبوب ﷺ «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه».

فالنوافل -معشر الأحبة- سبب في محبة الله -جلّ وعلا-، فبعد الصلوات المفروضة أفضل الصلاة قيام الليل، أفضل الصلوات بعد الفريضة قيام الليل، فتقوم من الليل ما كتب الله لك، رُكيعات تداوم عليها خير من قيام نصف الليل تقوم مدة ثم تنقطع، فإن الله -جلّ وعلا- قد أخبرنا عنه رسولنا ﷺ: أن أحب الأعمال إليه أدومه وإن قل^(٢)، العمل الدائم ولو كان قليلاً أحب إلى الله من الكثير الذي ينقطع، والله -جلّ وعلا- لا يمل حتى يمل بنو آدم إذا ملوا عن العمل وانقطعوا هنا يأتي الجزء.

فالواجب علينا جميعاً -معشر الأحبة-: أن نبادر، إذا لم يكن للإنسان مال فلا يقول أنا ما عندي ما أتصدق به، فقراء المهاجرين والأنصار لما رأوا الأغنياء يتصدقون بفضول أموالهم، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فأرشدهم النبي ﷺ إلى ما يلحقون به إخوانهم، وهو التسبيح دبر كل صلاة، ثلاثاً وثلاثين، والتحميد ثلاثاً وثلاثين، والتكبير ثلاثاً وثلاثين، فسمع الأغنياء من

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٤٦٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٧٨٣).

أصحاب النبي ففعلوا كما فعل الفقراء، وأرشدهم النبي ﷺ إليه، فجاءوا مرة أخرى يشتكون، قالوا يا رسول الله، فعلوا كما فعلنا، قال: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»^(١)، هناك أول شيء قال: (يتصدقون بفضول أموالهم ولا نتصدق) فأرشدهم النبي ﷺ إلى ما يعادل الصدقة؛ وهو أن يحمّدوا الله ثلاثاً وثلاثين، ويكبروا الله ثلاثاً وثلاثين، ويسبحوا ثلاثاً وثلاثين، سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، هذا يعدل إيش؟ يعدل كما يفعل صاحب المال ويتصدق من ماله، فيعدل تصدقه بالمال، فلما سمع الأغنياء فعلوا مثلهم، فالنبي ﷺ ما قال لهم ما عندي شيء، ما قال لهم هذا خلاص، لطف العبارة، فقال: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، الباب عند الله واسع.

الشاهد من هذا: أن النبي ﷺ جعل الذكر مقام إيش؟ مقام الصدقة بالمال، فالمرء إذا ما عنده مال يتصدق به من فضل ماله الزائد عن حاجته فيه سعة؛ فالله قد جعل له بدلاً الذكر ذكر الله - جلّ وعلا-، فالذكر سلاح المؤمن، ونور السماوات والأرض، فينبغي للعبد ألا يغفل عنه بعد ما يأتي بالفرائض التي افترضها الله عليه، يبادر بالنوافل، ومن أعظمها في هذه الأيام - كما قلت لكم - ذكر الله - جلّ وعلا-، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، وإن زاد الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً؛ فحسن.

فينبغي لنا ألا نغفل عن ذكر الله - جلّ وعلا-، لأنه معين لنا على الطاعة، محيي لقلوبنا، طارد لعدونا عنا وهو إبليس.

وأيضاً مما ينبغي التذكير به: أن من له نية في التضحية في هذه العشر دخلت عليه هذه العشر وله نية في التضحية أن يذبح يوم النحر، فلا يأخذ من شعره، ولا من ظفره، ولا من بشره شيء حتى يُضحّي، هذا يشمل رب الأسرة فقط، أما الأولاد فلا، والذي يشتهر على الألسنة

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٨٤٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٥٩٥).

من قول: (من أراد أن يُضحِّي أو يُضحِّي عنه) هذا غير صحيح، زيادة: (أو يُضحِّي عنه)، فالأولاد الصغار لهم أن يأخذوا من أظفارهم، وأبشارهم، وأشعارهم ما شاؤوا، إنما هذا على رب الأسرة الذي يدفع ثمن الضحية ويشترى الضحية، هذا لا يأخذ لا من ظفره، ولا من شعره، ولا من بشره شيء حتى يضحِّي، اللهم إلا إن احتاج لضررٍ كأن يكون مثلكم في هذه الأيام في هذه المنطقة الخير والزراعة، وجود الماء مع الفلاحة والحراثة، قد ينكسر ظفر أحد منا، ونحو ذلك، وهو يمشي في حرثه في مزرعته فيؤذيه، فلا بأس بإزالته، هذا ما أزاله مختاراً، وإنما أزاله مضطراً، والضرر يزال، الضرر يزال - كما هو القاعدة المعروفة في الشرع والله الحمد -، لكن بإرادته واختياره لا، ما يقلم أظفاره، ولا ينتف شعره إبطه، ولا شاربه.

أمّا لحيته فلا يجوز له أن ينتف شيئاً منها لا في هذه الأيام ولا في غيرها، فإنّ اللحى من جمال بني آدم، جمّلهم الله بها، ومن سنن المرسلين، ومن سنة نبينا ﷺ أمر بإعفائها، ونهى عن أخذها أو أخذ شيء منها، ما يجوز للإنسان أن يأخذ من لحيته شيئاً؛ لأنّ هذا حرام، فالواجب علينا - معشر الأحبة - أن نعتني بهذا.

وهكذا - والله الحمد - أوصي نفسي وإخوتي وأبنائي بينكم وهم طلبة علم في هذه المنطقة: أوصيهم بأمر الدعوة إلى الله - جلّ وعلا - أن يحرصوا على تذكير الناس، تذكير عامة المسلمين، والخروج إلى المساجد حولكم في القرى - معشر الأبناء والأحبة والإخوة الكرام - في هذه البلدة أوصيكم، وأنا أعرفهم بأعيانهم وأسمائهم، وبعضهم كانوا طلاباً لي، أوصيهم بالحرص على الدعوة إلى الله - جلّ وعلا -، فإنّ الدعوة إلى الله - جلّ وعلا - أفضل الأعمال، هي مهمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي طريق النبي ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والواجب على الداعية: أن يكون رحيماً بالناس، لأنه مصلح ومحبٌ لإيصال الخير إليه، والذي يوصل الخير إليك هذا رحيم بك، فالواجب عليه أن يكون حنوناً، لطيفاً، رفيقاً بالناس، فإنَّ الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العنف، ولا على ما سواه، ينبغي أن يكون الداعي إلى الله لطيفاً، رحيماً، هيناً، ليناً، مُتودِّداً إلى الناس، مُتحبِّباً إليهم، يسعى بكل وجه ممكن يوصل به الخير إلى إخوانه المسلمين، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُونَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فهؤلاء هم إخواننا، وأبناؤنا، وآباؤنا، الكبير أب، والمساوي أخ، والصغير ابن، ينبغي الرحمة بهم، فاحترام الكبير حتى يتعلَّم، واللفظ مع المساوي الأخ حتى يتعلَّم، والرحمة والشفقة بالصغير حتى يتعلَّم، فيظهر لهم أنك محب لهم ومحب لإيصال الخير إليهم. والناس بحاجة إلى التذكير، نعم العلم انتشر والتعليم انتشر لم يكن كالسابق، لكن الغفلة كثر، والملهيات كثر، فبسببها حصلت الغفلة، فاحتاج الناس إلى التذكير. والله -جل وعلا- قد مدح المستفيدين فقال سبحانه: ﴿وَذَكَرْنَا لَكَ الْذِكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، فهذا مدح لهم الذين يتنفعون هم أهل الإيمان، فاحرصوا -حفظكم الله ووفقني وإياكم- على الخروج إلى القرى، وتذكير الناس بالخير، وتعليمهم ما جهلوا، تنبيههم إلى ما غفلوا، وتذكيرهم عما نسوا، فإنَّ في هذا الخير العظيم، لا تكاسلوا -معشر الأُحبة- فوالله لأن يهدي الله رجلاً واحداً بكم خير لكم من حُمُر النَّعَم.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - أَنْ يُوَفِّقَنَا إِيَّاكُمْ جَمِيعًا لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا جَمِيعًا الْفَقْهَ فِي دِينِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ إِذَا اسْتَمَعَ انْتَفَعَ، وَاتَّبَعَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ.

[الأسئلة]:

١ - هذا يقول: أحسن الله إليكم - وإليك - يقول: ما حكم تشغيل تكبيرات العيد من الجوال أو المسجّل في المنزل للتذكير بها؟

هذا خطأ، هذا خلاف السنة، وهو مُحَدَّث، لكن إذا كنت أنت في بيتك فاكسب الأجرين جميعًا، أنت اذكر الله - جَلَّ وَعَلَا - فكبّر، ويكبّر الناس بتكبيرك، فتكون حينئذ مُكَبِّرًا مُذَكِّرًا، فلك أجر التكبير، ولك أجر التذكير، والله - جَلَّ وَعَلَا - يقول لرسوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، فالتذكير هو طريق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وطريق نبينا ﷺ سمعتم الآية قبل قليل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] في سورة الذاريات، وفي الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، فتكسب أجر الذكر في نفسك، وتكسب أجر التذكير، فحينئذ هذا تعليم، وتنبية للناس إلى الخير، وأهل البيت أولى الناس بك، فحينئذ يكون هذا هو الفعل الصحيح.

والدليل على ذلك ما ذكرناه قبل قليل حديثي ابن عمر وحديث ابن عباس، وأيضًا ما جاء في حديث ابن عمر وحديث أبي هريرة أنهما كانا - رضي الله عنهما - يخرجان إلى السوق في أيام العشر، فيرفعون أصواتهم بالذكر، بالتهليل، والتحميد، والتكبير، فيذكروا أهل السوق معهم يذكرون الله - جَلَّ وَعَلَا -، وعمر - رضي الله تعالى عنه - كان يرفع صوته بالذكر في منى، فيرفع الناس أصواتهم، يُكَبِّرُ عمر فيُكَبِّرُونَ - رضي الله تعالى عنهم -، فهذا يحصل لك فيه الأجران؛ أجر التكبير منك أنت في نفسك والذكر فتؤجر عليه، وأجر التذكير، «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ حَتَّى

الْحَيَتَانِ فِي الْمَاءِ لِيَصْلُوهَا عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١)، «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»^(٢).

فأنت دعوت إلى أفضل الهدى وهو ذكر الله -جلّ وعلا-، فأما تشغيل الجوال للتذكير فهذا مُحَدَّث، وإنما عليك بطريقة أصحاب رسول الله ﷺ.

وأنكر من ذلك وأنكر: ما بلغني أَنَّ بعضهم يجعل المُسَجِّل في المسجد ليلة العيد للتكبير! وهذا غلط، هذا مُحَدَّث، منكر، لا للمُسَجِّل ولا لك أنت، وإنما أنت تذكر الله في الطريق، وفي البيت، وفي المجالس، في الأسواق، أمّا أن تفعله على النحو هذا بدعة منكرة، وهذا حدث في هذه الأيام المتأخرة، وينبغي لمن علم شيئاً من هذا أن يُنكره.

٢- هذا يقول: هل يصح أن نصوم كل هذه العشر لأنها أفضل الأيام؟

نعم تصومها جميعاً إلا العيد، فَإِنَّ العيد يحرم صومه يوم النحر، يومي العيدين وأيام التشريق لا يجوز صيامها، فأما يومي العيدين فلجميع لا يجوز صومها أبداً، لجميع الناس مقيمين وحاجين لا يجوز لهم أن يصوموها، وأما أيام التشريق فحرام على المقيمين في البلدان صومها، ومن كان حاجاً وعليه هدي ولم يجد ما يشتري به الهدى، ولم يكن قد صام قبل يوم عرفة ثلاثة أيام في الحج فإنه فقط لهذا الشخص يجوز أن يصوم أيام التشريق التي هي الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، لأنَّ الله -جلّ وعلا- يقول: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فالثلاثة أيام إذا لم يكن صامها الذي لم يجد هدياً وكان متمتعاً، أو قارناً إذا لم يكن صامها قبل يوم عرفة، أو آخر شيء يوم عرفة يكون معها، فإنه يجوز له أن يصوم الحادي عشر، والثاني

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٧٤).

عشر، والثالث عشر لحديث عائشة - رضي الله عنها - الصحيح: «لَمْ يُرَخَّصْ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمَّنَ؛ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ»^(١)، يعني إذا لم يكن قد صام قبل العيد.

فالمشروع لك أيها الأخ السائل أن تصوم هذه التسعة الأيام من أول يوم ذي الحجة إلى اليوم التاسع، واليوم التاسع أفضلها على الإطلاق وهو يوم عرفة، ما طلعت الشمس على يوم أفضل من يوم عرفة، وصيامه يعدل كم؟ سنتين، فإذا غلب الإنسان فلا يغلبن على صوم يوم عرفة، لأنه يُكفِّر سنتين ماضية وقابلة، وبعده يتفضل الله علينا بالعاشر في المحرم الشهر الذي يليه، ففيه صيام يوم عاشوراء يُكفِّر سنة ماضية، فالله - جلَّ وعلا - جعل لنا المكفَّرات والفضائل الكثيرة، وهي يسيرة، والموفق من وفقه الله - جلَّ وعلا -، ولا يُشكِّل عليك أيها الأخ الكريم أنك صمت تسعة أيام فتظن أنها ليست عشرًا، العرب تطلق الكثرة على الكل، فأنت صمت عشرة أيام، لا، صمت تسعة أيام كم بقي من العشرة يوم واحد، هذا اليوم أنت ممنوع من صيامه، فتقول صمت العشر باعتبار الأكثر، باعتبار الأكثر، نعم.

٣- هذا يسأل عن سبعة إذا رجع إلى أهله هل يشترط فيها التتابع؟ لا يشترط.

٤- هذا يقول: أحسن الله إليكم شيخنا - وإليك - طالب العلم إذا علَّم الحاج كيف يحج،

هل يشاركه في الأجر؟

نعم، إن شاء الله، فضل الله واسع، إذا علَّمته كيف يحج هذا هو الخير، النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ» أكثر من هذا «حَتَّى الْحَيَتَانِ فِي الْمَاءِ لَيَصْلُونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ»، إيش بعد هذا من فضل، «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى» وأنت حينما تعلَّمه الحج على الوجه الصحيح ما دعوته إلى الهدى! دعوته إلى أفضل الهدى؛ قيام ركن من أركان الإسلام «كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ»، فإذا تبعك وعمل بما علمت شاركته أنت بالأجر، «لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٩٩٨).

يقول الحافظ ابن عبد البر رحمته الله: (وهذا أعظم حديث للمعلمين) هذا أعظم حديث، المعلمين لهم أجر عظيم، ينبغي عليهم أن يخلصوا النية لله -جلّ وعلا-، فإنهم إن فعلوا ذلك أجروا، هذا أعظم حديث لهم لما فيه من ذكر الأجر: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى» كم على يدك من الناس يهتدون، يتفقهون، يتعلمون أحكام دينهم، يتنوّرون، يخرجون من الجهل، يخرجون من الشك إذا كانوا شاكين في مسألة معينة، يخرجون من الحيرة إذا كانوا مختارين في حكم معين، فأنت ترشدهم، فكم لك من الأجر في هذا الباب، نعم، لا حرمنّا الله وإياك الأجر.

٥- هذا يسأل عن صفتي التكبير السابقة ثابتة؟ نعم كلها ثابتة، والله الحمد.

٦- هذا سؤال بالأحمر -وهو إشارة الوقوف كما قلت لكم- هذا يقول: أحسن الله إليكم، امرأة نذرت لله تعالى تقول إن توظّفت فلانة أن تدفع لها قيمة حَجّة أو حِجّة هي ومحرمها، ويسّر الله وتوظّفت، ثم ذكّرتها بنذرها، فاستعدّدت، ولكن هذه الموظّفة ذهبت وحجزت في حملة غالية الثمن لها ولمحرمها، وهذه السائلة تقول: لا أقدر؟

نقول: لا ضرر ولا ضرار، فلا هي تأتي بما يكسر ظهرك، ولا أنت تنزلي بها إلى ما لا يصلح بها، فالوسط، خير الأمور أوسطها، فلا هي تذهب إلى حملة أبو عشرين ألف، ولا أنت تذهبن بها إلى حملة أبو الفين، ولكن الوسط سبعة آلاف، وثمانية آلاف ونحو ذلك، فأنت تختارين الوسط، ولعلك ترفعين أمرك إلى أخينا صاحب الفضيلة الشيخ الجليل أحمد بن عيسى وهو يقضي في الأمر، والله أعلم، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

مداخلة من سائل: شخص نوى صيام هذه العشر بعد صلاة الفجر، ولم يأكل قبلها شيء

أو يشرب، لكن نوى أنه يصوم، وأتم صومه!

الشيخ: ما في بأس، الحمد لله يكفيه هذا والحمد لله ما دام ما أكل، وكان قد نوى تم صومه،

صومه صحيح والله الحمد.

مداخلة: [...] ^(١).

الشيخ: إذا طلع عليه النهار وهو لم يأكل وبدا له أن يتم هذا اليوم من هذه الأيام العشر

فلا بأس هذا في صوم النفل جائز.

مداخلة: بعد صلاة الفجر، لكنه ما نوى يتسحر!

الشيخ: لكنه ناوي يصوم؟

السائل: بعد صلاة الفجر نوى أن يتم صومه.

الشيخ: خلاص ما في، القضية فقط إنها هي أنه ما نوى يتسحر لا إشكال الحمد لله، النية

موجودة وصومه صحيح، الله يبارك فيكم.

سائل آخر: الحج بدون تصريح!

الشيخ: الحج بدون تصريح لا نقول به؛ لأن الله -جلّ وعلا- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

فالواجب طاعتهم، وهذا فيه منفعة للمسلمين، وإنما تحرم الطاعة في معصية الله، هذا فيه

منفعة للمسلمين الآن كما تعلمون المشاعر يعني وإن تيسر الأمر فيها، لكن يبقى عندكم المسجد

الحرام فيه كما ترون البنيان لم يتم بعد، والدولة وفقها الله إنما منعت من هذا حرصاً على مصلحة

(١) غير واضح الصوت.

المسلمين، حتى لا يحتطموا، فإذا تيسرت الأمور وتسهلت سيأتي بإذن الله -جلّ وعلا- التوسعة على الناس، ونسأل الله -جلّ وعلا- أن يعيننا وإياكم، فالواجب طاعتهم.

وقد همّ عمر -رضي الله تعالى عنه- بأن يفعل هذا بالمسلمين، فلما رأى تكاثرهم ترك، فدلّ ذلك على أن لولي الأمر أن يُنظّم أمور الحجيج، نعم.

سائل آخر: امرأة مريضة كبيرة في السن ومرضت مرضاً أعجزها عن الصيام شهر رمضان، ففطّرت عن كل يوم مسكيناً، وفي السنة التي بعدها شافها الله ﷻ وصامت رمضان كاملاً، فهل عليها شيء...؟

الشيخ: إيه هذا دليل على أن المرض الذي جاءها السابق ليس مرضاً مُزمنًا يعني دائم ما يُرجى شفاؤه، فدل صيامها في السنة القادمة دل على أن هذا المرض العارض زال، فحينئذٍ إطعامها خطأ، ولها الأجر فيه، وعليها القضاء، إذا دخل علينا الربيع في هذه المنطقة نهاره قصير وبارد تقضي والله الحمد، عليها القضاء، وهذا الإطعام غير صحيح، نعم، الله يبارك فيك اه.

اعْتَنَاءُ

أَبِي قُصَيِّ الْمَدَنِيِّ

-عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ-

فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ عَامِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ

tafrigh-1438@hotmail.com